## استنزاف العدو

سافر جابر وآمال إلى السويس واتجها مباشرة إلى المستشفى الذى يعالج فيه أحمد. . وكان لقاء أخويًّا تجلّت فيه صلة الرحم بأجمل معانيها وطفرت من عينيهما الدموع التى تعبر عن الفرح والحزن فى وقت واحد. . فرح اللقاء وحزن الإصابة التى ابتلى بها أحمد فتركت أثرًا شاحبًا على وجهه ومسحة حزينة من الألم فى أعماقه وإن لم تفقده صبره ورجولته. وحاولت آمال أن تخفف عنه بالحديث والدعابة وأقبلت عليه فى مرح أنساه بعض ما يجد. . وليست آمال غريبة عليه. . حيث قابلـها عدة مرات مع أخيه فى الإسماعيلية حين يذهب لزيارته. . ومرة أو مرتين فى العريش فى بعض أسفارها لـه. . وأعجب بها كثيرًا ففيها تلتقى صفات جميلة تقربها من القلب، بل إنه غبط أخاه على حبه لـها. . وجالسها فلمس فيها حسنًا يسدّ النظر وذكاء يستميل الفكر. . وفى لحظات خاطفة عابرة تمنى لو كانت لـه. . أو وجد مثيلاً لـها. . فحياته مقفرة فى حاجة لمن يروى ظمأها ويعيد إليها الحياة.

وصمم جابر على أن ينقل أحمد إلى مستشفى الإسماعيلية ليكون تحت إشرافه ويراه فى أى وقت يريد.

واستجابت إدارة المستشفى لطلبه وقررت نقلـه إلى الإسماعيلية ليكمل علاجه هناك. . وفى المساء انطلقت سيارة عسكرية تحملـهم إلى الإسماعيلية. . حيث أدخل المستشفى العسكرى.

واطمأن جابر على قرب أخيه منه. . وقضى معه بقية الليل ثم عاد إلى منزلـه ليستعد للذهاب إلى عملـه بعد أوصل آمال إلى بيتها. . وأقام أحمد فى المستشفى

مدة شهرين. . تقدمت فيها صحته والتأمت جراحه وعادت إليه البسمة المشرقة. . ولم تنقطع آمال عن زيارته أبداً بصحبة جابر عند وجوده، أو بمفردها حين يكون غائبًا. . وأحيانًا ترافقها منى وهى شابة زميلتها فى العمل فى مثل سنها. . تتسم بالجمال والـهدوء، وعرفت أحمد فى زياراته للإسماعيلية من قبل كما عرفته آمال وربطت بينهما أواصر العمل وقربها القوى من آمال وجابر، ولم تبخل عليه بالمودة والتعاطف لإحساسها بحاجته إليهما. . وزارته بمفردها فى بعض الأوقات التى يكون فيها جابر أو آمال غير قادرين على الزيارة. . وأنكرت على نفسها فى أول الأمر هذه الزيارة ولكن شيئًا خفيًا يدفعها إلى هذه الزيارة بل وإلى تكرارها وإطالتها، وتحسّ بالوحشة حين تغيب عنها، واقتنعت بأنها مشاعر لا تتجاوز العطف على شاب فى مقتبل العمر بترت ساقه وكاد يفقد الحياة.

ورُكّبت لأحمد ساق صناعية وبدأ يدرب نفسه على السير بها فى حديقة المستشفى متوكئًا على عصا أعطيت لـه. . ويومًا بعد يوم أخذ يألف الواقع الجديد. . راضيًا بقضاء الله وقدره فى نهاية المطاف. . مستسلمًا للحكمة.

ونجح جابر فى أن يعيده إلى العمل فى هيئة الإشراف والتوجيه فى برج المراقبة بالإسماعيلية. . واعتبر كلاهما هذا القرار نصراً كبيراً فهو لم يفقد عملـه من ناحية واستقر به المقام بجوار أخيه من ناحية أخرى. وسيصبح هو صاحب الصوت الذى يسمعه فى السفن التى يوجهها. . يرشدها أو يستدعيها أو يلقى إليها ما يريد، حتى الإجازات صارت من اختصاصه يمنحها أو يمنعها فى الظروف والأوقات المناسبة.

ويغيب جابر فترات طويلة عن أخيه يعوضها وجود آمال ومنى بجواره. .

وحرب الاستنزاف المريرة اشتدت مع العدو وتشابكت خيوطها.. وأحس الشعب المصرى بوطأة الـهزيمة وأن كل جندى إسرائيلى يقف على الضفة الشرقية للقناة إنما هو سهم مغروس فى صدره لابد من انتزاعه مهما كانت التضحيات.. ولم يكن جابر دون غيره من الشباب؛ فهو بحكم عملـه وخبرته منوط به مهمات كثيرة عليه أن يقوم بها وينفذها بدقة وسرية، ومن أهمها نقل الفدائيين والأسلحة إلى مواقع العدو بحيث لا يشعرون بها أو يشعر بوجودها مَن معه فى السفينة، ويتطلب منه هذا العمل الحرص والحذر والسير عبر ممرات بحرية خطرة تعترضها الصخور والعوائق، وهناك يجد بعض المراكب الصغيرة متناثرة بالقرب منه تبيع وتشترى من السفن الكبيرة فينزل إليها الرجال والسلاح على صورة باعة يتبادلون السلع مع ركاب السفينة.. وهذا العمل الخطر يستدعى غيابه أيامًا طويلة لا يتمكن فيها من التقاط أنفاسه فى إجازة ولو قصيرة.. ويسمع أحمد وهو فى المستشفى أخبار معارك الاستنزاف على طول جبهة القناة وفى عمق سيناء.. وتحدثه آمال عن البطولات والتضحيات التى يقوم بها الفدائيون من رجال القوات المسلحة ومن غيرهم.

ولضمان سرية العمل الفدائى ونجاحه يأمر الرئيس عبد الناصر بوضع كافة الإمكانات المتاحة تحت تصرف قيادة حرب الاستنزاف التى جعلت العدو لا يطمئن فى موقعه أو يحسّ بالراحة أو الاستقرار، وأن الخطر يحيط به فى كل خطوة يخطوها، وقبورهم مفتوحة تحت أقدامهم.

وتبدى آمال إعجابها بأعمال الفدائيين، وتحدثه عن بعض ما سمعت.. فهذه مجموعة فدائية تنكرت فى ثياب الصيادين وعبرت القناة وانتشر أفرادها بالقرب من المواقع الحصينة للعدو وزرعوا فيها الألغام والمتفجرات.. وعند ساعة الصفر تحولت هذه المواقع إلى جحيم.. ولم يَدْرِ العدو من أين جاءته

الكارثة . . أمن خلفهم أم مِن تحت أقدامهم!

وتتسلل مجموعات أخرى من أقصى الشمال ومن أقصى الجنوب حتى وصلت إلى تجمعات العدو سابحة فى الماء ومتخذة من الظلام ستاراً، وتتربص الفرصة السانحة فتنسف حاملات الجنود والمدرعات فى سرعة خاطفة . . وقبل أن يفيق العدو من ذهولـه يتوارى الفدائيون كأنما ابتلعتهم الأرض . . حيث درسوا دروب سيناء وعرفوا مسالكها الصعبة وجبالـها الوعرة التى تمكنهم من الـهرب والتخفى، ويذوبون فى تجمعات البدو من سكان سيناء فلا يستطيع أحد أن يميز بعضهم عن بعض . وفى أحد الأيام زاره شاب من جيرانه القدامى فى السويس حينما علم بسفره إلى الإسماعيلية . . ودار بينهما حديث طويل عن ذكريات الماضى وملاعب الصبا فى شوارع السويس وأنديتها . . كانوا يعيشون ليومهم ولا يفكرون فى الغد، والدنيا عنهم غافلة . . تظلـهم البساطة والبراءة، وتحوطهم رعاية أسرتيهما بالحب والحنان . . ولكن الحياة لا تبقى على حال . . فالشمل تَفرّق، والآباء رحلوا، ولم يبق لنا غير ذكريات نسمع صداها فى أعماقنا فتثير فينا الحنين والشجن . وسألـه أحمد عن أخويه محمود وسيد فسكت الجار قليلاً . . وتساقطت قطرات ساخنة من الدموع فوق وجنتيه ثم قال : لقد انضممنا إلى صفوف المناضلين فى حرب الاستنزاف، وتوغلنا خلف خطوط العدو أكثر من مرة وأحدثنا بهم إصابات بالغة، ونمنا ليالى عديدة فى العراء حتى نفد ما معنا من طعام فاصطدنا الثعابين والسحالى واتخذناها طعاماً نقتات منه . وفى إحدى الأمسيات شاهدنا دبابتين وعربة مليئة بجنود العدو تقترب منا، وبسرعة ارتدى قائد المجموعة حزاماً من الديناميت ونادى : مَنْ يشاركنى فى الشهادة؟ فأسرع أخى محمود ومتطوع آخر ففعلا مثلـه، وأمرَنا القائد بالعودة إلى مقر قيادتنا بعد انتهاء العملية . وبسرعة انساب ثلاثتهم

كشياطين الليل يخفيهم الظلام ويداريهم عن العيون حتى أصبح كل منهم أسفل الـهدف الذى حدده لنفسه. وسمعنا انفجارًا مروعًا هزّ المنطقة كلـها.. توالت بعده عدة انفجارات.. وبعد فترة تقدمنا إلى الموقع فم نجد إلا أجزاء من حديد متناثر وأشلاء من جثث مبعثرة هنا وهناك وقد اختلط بعضها ببعض.. لم نتبين فيها رجالنا من رجالـهم واستشهد أخى مع زميليه.. وبقدر ما استطعنا وارينا بعضهم الرمال.. وعدنا أدراجنا سريعًا قبل وصول بقية القوات الإسرائيلية لأن الذخيرة التى معنا نفدت عن آخرها.. وظللنا نحبو على بطوننا وطلقات الرصاص الطائشة تطاردنا حتى تمكنا من الوصول إلى شاطئ القناة. فعبرنا سباحة إلى الضفة الأخرى.

ووجدت أخى سيد مصابًا فى ذراعه وكذلك بعض رجالنا فنقلتهم إلى مستشفى السويس، وعرفت بوجودك مصابًا فيها وانتقالك إلى الإسماعيلية لاستكمال علاجك بناء على رغبة أخيك حتى تكون قريبًا منه.

واستيقظ أحمد فى اليوم التالى على صوت أخيه جابر وهو مقبل عليه فى سعادة وفرح يهنئه بتمام شفائه وبقرب خروجه من المستشفى، وأنه سيمنح إجازة قصيرة للاستجمام والراحة ثم يتسلم بعدها عملـه فى هيئة القناة بالإسماعيلية.

وأقبلت آمال ومنى بعد فترة قصيرة وتجاذب الجميع أطراف الحديث عن معارك الاستنزاف والبطولات الرائعة التى يسجلـها الفدائيون كل يوم وكيف أزعجت العدو فجعلت وجوده قلقًا مستمرًا وعذاب دائمًا، فلا يدرون من أين يأتيهم الموت، وأيقنوا أن وجودهم فى سيناء لن يدوم طويلاً.. فالأرض من تحتهم تهتز وإن لم يبادروا بالانسحاب ستبتلعهم وتصبح قبرًا لـهم.

وقال جابر : إن القوات المصرية بجميع أسلحتها استعادت نشاطها وثقتها فى نفسها . . وعُهد إلى بعض القادة العظام بإعادة تنظيمه وحسن تدريبه . . وعوض الجيش معظم الأسلحة التى فقدها من البلدان الصديقة . . وحينما يستكمل استعداده، ستكون معركة النصر . . إن أكثر من مليون شاب ـ كما سمعت ـ ينوى الرئيس عبد الناصر تجنيدهم ليكونوا على استعداد ليوم الثأر والخلاص . . ومن موقعى فى العمل أدركت تفوق القوات البحرية وقوة استعدادها . . لقد قام رجالـها بأعمال رائعة لم يكشف النقاب عنها بعد، وحين تعلن ستكون مفخرة لمصر كلـها . . حيث كانت سببًا فى حماية مصر من الغزو البحرى الإسرائيلى . . وجعلت العدو لا يفكر مطلقًا فى الاقتراب من الشواطئ المصرية .

وهمس قائلاً : لقد علمت أن زوارق الطوربيد أغرقت منذ يومين الغواصة الإسرائيلية داكار بالقرب من شواطئ الإسكندرية . . وهى غواصة حديثة صنعت فى بعض البلاد الأوربية لحساب إسرائيل، وقد زودت بتجهيزات خاصة ومتطورة وسلمت لإسرائيل منذ شهور قليلة، ورصدتها البحرية المصرية تتسلل نحو شـــاطئ الإسكندرية فى مهمة غامضة . . فى الوقت الذى كان فيه الرئيس عبد الناصر موجوداً بها . . وصدرت الأوامر من الرئيس شخصيًّا بالتعامل معها . . فخرجت إليها بعض زوارق الطوربيد السريعة وضربتها بقنابل الأعماق . . وسجلت المراصد انفجاراً مروعًا فى أعماق البحر . . وفى اليوم التالى شوهدت بقعة كبيرة من الزيت تطفو على سطح البحر فى الموقع الذى كانت فيه الغواصة .

ومن الغريب أن إسرائيل تجاهلت هذا الموضوع تمامًا ولم تعلن عن فقد شيء من أسلحتها وكأن شيئًا لم يكن . . لأنه لم يظهر أدنى أثر للغواصة بمن فيها . .

وتمكن بعض الغواصين المصريين من مشاهدتها غريقة فى عمق بعيد . . كما أن إسرائيل لا تريد زعزعة الروح المعنوية لدى جنودها . . فقبل هذا الحادث بقليل تم إغراق المدمرة الأسطورية إيلات وبعض السفن والزوارق الحربية الصغيرة .

وكاد أحمد أن يقفز من فوق سريره سروراً بتلك الأعمال الرائعة التى تؤكد أننا شعب لن ينام على ظلم أو يستكين وجزء من أرضه مسلوب . . وتمنى لو كان سليمًا ونال بعض هذا الشرف .

وهدأ جابر من ثورته قائلاً : لقد أديتَ واجبك يا أخى على أكمل وجه ولم تبخل بشيء فى سبيل وطنك . . ولقد قدمنا من قبل أبانا وأخانا ، ومازلنا على الطريق أنا وأنت . . ولن يكون عملك بعيداً عن مواقع القتال أقل بطولة مما هم فيه . . فالمعركة فى حاجة إلى تضافر الجميع وتشابكهم . . وبهذا يتحقق النصر . . ونستأذنك الآن فى العودة لنكون فى استقبالك بعد أيام قليلة بيننا فى مكانك الجديد .